

## التفكير في العلاج الأسري السردي

عايش صباح

أستاذة محاضرة أ، جامعة الشلف

s.aiche@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2020/09/14؛ تاريخ القبول: 2022/02/15

### Deconstruction in Narrative Family Therapy

Aiche sabah, chlef university

#### Abstract:

One of the effective familial therapy is Narrative therapy. This kind of therapy aims at identifying the reality and rearrange it through stories reveal what is going on ourselves and the world round us. These stories should synchronize with a series of how do we understand our life , and why are we living? The stories should include things happened in reality from success and failure. Deconstruction is a part of Narrative therapy since clients can't discriminate between what is real and what is told in their stories. Both the language of telling stories and what happened in reality are different. Always there is what should be done and what should be told in stories. Therefore, the aim of this paper is exploring the dissociation in narrative therapy in detail..

**Key words:** Deconstruction , Narrative, Family Therapy.

#### الملخص:

يقع العلاج السردي في مقدمة ممارسة العلاج الأسري اليوم مما يدل على أن معرفتنا بالواقع يتم تنظيمها والحفاظ عليها من خلال قصص نرويها عن أنفسنا وعن العالم الذي نعيش فيه، وتربط قصصنا أحداث الحياة في تسلسل معين لفهم كيف ولماذا نعيش الحياة التي نحياها، وتتضمن هذه العملية المستمرة قصصاً عن أنفسنا وقدراتنا وكفاءاتنا وأفعالنا وعلاقاتنا وإنجازاتنا وفشلنا، وقد نشأ العلاج السردي من مرحلة ما بعد البنيوية والتفكير، إذ يعتبر التفكير مفهوماً قوياً في العلاج السردي لأن العملاء غالباً ما يخلطون بين اللغة التي

يستخدمونها عن أنفسهم وبين ما يعتبرونه حقيقياً وغير قابل للتغيير، ويشير التفكير إلى أن حقيقة الفرد واللغة التي يستخدمها في التعامل مع هذا الواقع (حقيقة ذاته) لا يتفقان مع بعضهما البعض، فهناك دائماً ما يجب "أن يكون" وأن "يقال"، لذلك فقد ارتأينا في هذه المقالة أن نتطرق إلى التفكير في العلاج الأسري السردى بشيء من التفصيل.

الكلمات المفتاحية:

التفكير، السردى، العلاج الأسري.

مقدمة:

لقد مر أكثر من جيل منذ هزّ علماء التفكير العالم الأكاديمي والثقافة والعلاج النفسي، حتى أن التفكير قد دخل في عنوان فيلم من تأليف Woody Allen (1997) (Strong & Schultz, 2010)، فالتفكير بوصفه تجربة ما بعد حدثية تشكل أهم حدث فكري في النصف الثاني من القرن العشرين، زرع الثوابت الفكرية الراسخة وشكل ثورة مفهومية، أرضيتها فلسفية ومراميها نقدية، وأبعادها مترامية في شتى الميادين، وزرع الفضول المعرفي والحيرة الفكرية لدى الناقد والفيلسوف على السواء (حطاب، 2011).

ويعتمد المعالجون في كل من العلاج السردى (White, White, Wijaya, & Epston, 1990)، ونظرية جاك لكان (Lacan & Spence, 1968)، وبعض أساليب التحليل النفسي (Spence, 1984) على الرؤية اللغوية ليقولوا إن أوصافنا للواقع ليست مماثلة للواقع نفسه ولا يمكن أن تكون كذلك على الإطلاق.

وخلال العقدين الأخيرين قام منظرو ومعالجو ما بعد الحدثية -خاصة في مجال العلاج الأسري- باستكشاف وتوحيد المقاربات الخطابية والعلائقية للعلاج القائم على البناء الاجتماعي والتفكير الحوارى والسرد، ويتم تعريف الأشخاص في هذا النموذج من خلال السياقات الاجتماعية والثقافية والنسقية والروحية والمجتمعية والعلائقية التي فيها يتفاعلون ويتحدثون ويعيشون ويتحركون، أو كما لاحظ (Ken Gergen 2008) فإن الذات النفسية ليست عنصراً مستقلاً يوجد محوره العقلاني بمعزل عن الآخرين، بل هي كائن متعدد الاصوات أو علائقي: "لا يوجد ذات داخلية أو خارجية؛ لا يوجد سوى مشاركة

مستمرة في العلاقة"، وإن موقف المعالج اللامركزي أو "غير المعروف" في العلاج النفسي يُمكن العملاء من تطوير الخبرة والقدرة على سرد حياتهم، ويسمح للمعالجين بإنشاء مساحة حوار لإجراء محادثة حول التغيير، تستند إلى الفضول والمعنى واللغة والقصة والسياق وأخلاقيات العلاقة العلاجية (Larner, 2011).

وعلى الرغم من أن مصطلحات "السرد narrative" و"الخطاب discursive" "وما بعد الحداثة postmodern" مرتبطة غالباً كما لو كانت متكافئة أو كما لو أنها تقود إلى نفس النوع من الممارسة، إلا أن التركيز ينصب حول تحويل الانتباه إلى سرد القصص في اللقاء العلاجي، أو التأمل في كيفية عيش اللقاء العلاجي نفسه، أو كيف يتم بناء العلاج النفسي لحظة بلحظة عندما يتحدث الناس بطريقة معينة. إن الاهتمام المتزايد بتنوع الأساليب السردية في العلاج النفسي والبناء الاجتماعي للعلاج النفسي بين الممارسين والأكاديميين قد وفر "الظروف" لطرح هذه الأسئلة، وللإجابة على هذه الأسئلة، لا بد من الانتقال من بناء الخطاب العلاجي إلى تفكيكه (Parker, 2014).

ويعد التفكير واحداً من اتجاهات ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية، وهو استراتيجية قرائية تسعى إلى مقارنة النصوص وجعلها مسرحاً مختلفاً للدلالات المتصارعة والقراءات المتعددة وهذا من خلال تجاوز ميتافيزيقا الحضور والتأسيس لنص وفلسفة الاختلاف (حنان، 2018)، وتوفر المحادثات العلاجية سياقاً للتغيير في علاج الزوجين والأسرة وتترابط مع السياقات التي تحدث فيها، أي السياقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية (Polanco, 2017)، ومن أبرز علاجات الأسرة ما بعد البنيوية التي تعتمد على المحادثات العلاجية نجد العلاج السردي الذي يعتمد على أعمال جاك دريدا وميشيل فوكو للتشكيك في مزاعم الحقيقة الفردية حول التجربة الإنسانية، فبينما يأخذنا دريدا إلى ما هو أبعد من قراءات صارخة، إلى قراءات كامنة لكلمة أو عبارة معبر عنها، يزعم فوكو المعرفة عن طريق وضع ممارسات المرء نفسه كأمر مسلم به في السياقات التاريخية التي انطلق منها، وأي تأكيد للحقيقة حول الشخص له علاقة بالقوة، فبمجرد أن تتعرض لأقل من

عمق الحقيقة، يصبح من الممكن اللعب بالمعنى بدلاً من البحث عنه كما لو كان لا يزال هناك في انتظار شكل طاهر، لا تشوّه الثقافة ولا يشوّه من قبل الزمن، وهذا لا يجعل الحقائق المسيطرة خاطئة كما أنها ليست صحيحة، بل يجب اعتبارها مفيدة ذاتياً أو عديمة الفائدة اعتماداً على ميل المستخدم (Marsten & Markham, 2017).

إن ما يجعل المحادثات التفكيرية مثيرة للاهتمام بشكل خاص كظاهرة بحثية هي أنها تجعل المعالجين والعملاء الذين يستخدمون اللغة يتصرفون فيها وربما يعدّلون استخدامها لاحقاً، والافتراض هو أن هذا ليس مجرد تمرين في علم الدلالة، بل يدور حول "حقائق" العملاء، حيث إن الفهم اللغوي الدائم للخبرة والمعتقدات يؤدي إلى التشخيص الصحيح.

ومن هذا المنطلق سوف نتناول موضوع التفكير في العلاج الأسري وبصفة خاصة العلاج السري من خلال تعريف التفكير ثم التعرّيج على مصطلح التفكير والعلاج النفسي وأخيراً النقد الأخلاقي للتفكير في العلاج السري.

أولاً: تعريف التفكير

يرد تعريف (التفكير) لغةً في لسان العرب تحت مادة "(فكك)": الليث: يقال فككت الشيء فانفك بمنزلة الكتاب المختوم تفك خاتمته كما تفك الحنكين تفصل بينهما وفككت الشيء: خلصته وكل مشتكين فصلتهما فقد فككتهما، وكذلك التفكير. ابن سيده: فك الشيء يفكه فكاً فانفك فصله. وفك الرهن يفك فكاً وافتكه: بمعنى خلصه ... فك فلان أي خلص واريح من الشيء".

أما في الاصطلاح فقد عرّفه (جاك دريدا) بأنه "حركة بنائية وضد بنائية في الآن نفسه"، وعرّفه (محمد عناني) "فك الارتباط، أو حتى تفكيك الارتباطات المفترضة بين اللغة وكل ما يقع خارجها، أي إنكار قدرة اللغة على أن تحيلنا إلى أي شيء أو إلى أي ظاهرة إحالة موثوقاً بها" (الحبيب، 2010).

والتفكير أو التفكيرية كما يؤثر البعض هي المقابل الشائع لمصطلح Déconstruction الذي ظهر مع جاك دريدا Jack Derrida والذي أقر أنه حين وضع مصطلح Déconstruction كان يفكر خصوصاً

في استخدام هيدغر لكلمة *Destruction* بمعنى تحليل بنية ما عن طريق نشرها وبسطها على طاولة التشريح مثلما كان يفكر في كلمة *Abbou* الألمانية أي الفرنسية *démontage* التي استعملها فرويد للدلالة على نوع من التركيب المقلوب، كما ورد عن جوزيت راي دوبروف في قاموسها السيميائي فعل التفكك *déconstruire* عند دريدا بمعنى فك أو تقويض *défaire* بناء أيديولوجي موروث اعتمادا على التحليل السيميولوجي.

وينقسم مصطلح *Déconstruction* في تهجئته إلى أربع مقاطع كل مقطع منها دال على معنى معين:

- السابقة *dé* وهي سابقة لاتينية تنصدر كثيرا من التراكيب الفرنسية بمعنى النفي والانهاء والقطع والتوفيق والتفكيك والنقض.

- كلمة *con* وهي مرادفة لسوابق أخرى تنصدر *co-col-com* كلمات كثيرة لا تخرج معانيها عن الربط والترابط والمعية *avec*.

- كلمة: *struct* بمعنى البناء.

- اللاحقة *ion* وهي لاحقة مماثلة لللاحقة *tion* تدل كلتاها على شكل من أشكال النشاط والحركة *action* وتركيب دلالات هذه المقاطع المجزأة تدل كلمة *Déconstruction* على حركة نقض البناء.

وبما أن الكلمة منتهية بلاحقة لا تدل إلا على الحركة وليس المذهبية كما في اللاحقتين *isme-ique* فقد سايرت بعض الترجمات ذلك متكيفة بالمصدر مجردا (لا المصدر الصناعي): التفكيك – التقويض- النقض – التشريح ... (حطاب، 2011).

إذا روح التفكيكية يتمثل بالضبط في قوة النقض والهدم والتقويض التي تتميز بها، وبهذا المعنى شرح جيرار جنومبر القراءة التفكيكية فقال إنها تستهدف تفجير النص انطلاقا من مبدأ اللاتماسك *non cohérence*، وجعله يلعب ضد ذاته، ويقول أيضا بأن دريدا قد اقترح "قراءة النص بما هو انتاج لمعان غير قابلة للتجميع *non totalisable*، ووفقا لهذا التصور تصبح العلامة اللغوية موضع تشويش *confusion* بين المعنى المرجعي والمعنى المجازي،

فيصبح القارئ عاجزا عن السيطرة على النص لأن النص لا يسمح له بذلك" (شرفي، 2010).

ويرى علي الكردي محمد أن مصطلح التفكير لا يقصد به الهدم والتخريب وإنما التفكير هو عملية إعادة ترتيب عناصر الخطاب على طريقة أهل النحو والمشكل الموجود في هذا المصطلح عائد إلى البائدة De النفي، لكن ما يراد منها عبر هذه البائدة هو خلخلة تركيب الجمل لبيان الطابع اللاتفاقي، أي البحث عن العلاقة بين التركيب اللغوي ومرجعياته (أو عشرين، 2016).

إن هذا التصور الميتافيزيقي الذي يحتقر الكتابة هو ما سعى دريدا إلى مساءلته وتفكيكه في كتابه في الغراماتولوجيا، وقبل ذلك في أصل الهندسة)، حين لامس كيفية انتظام فعل الكتابة في حقل العلوم، وتبين له أن ثمة تقليداً غربياً - يمتد من سقراط إلى كلود ليفي ستروس عبر جان جاك روسو وفرديناند دي سوسير- ما انفك يعتبر الكتابة نسخة لا أصلا، ويردّ كل حقيقة إلى نزعة إثنية؛ فكان لزاماً على دريدا تقويض هذه النزعة من خلال تفكيك النصوص الفلسفية وغير الفلسفية وفق استراتيجية تنطلق من الهامش نحو المركز، وتجعل المعنى لا يحيل إلى العقل كمصدر وحيد للمعرفة والحقيقة، بل يحيل إلى معنى آخر، والآخر على آخر، بحيث لا نعود نمثل أمام معنى واحد وحقيقة واحدة بل نمثل أمام "اختلاف" مطلق (التاور، 2014).

وتحاول التفكيكية تقويض النص بأن تبحث داخله عما لم يقله بشكل صريح واضح (وهو ما يشار إليه الآن بالعربية بعبارة المسكوت عنه)، وهي تعارض منطق النص الواضح المعلن وادعاءاته الظاهرة بالمنطق الكامن في النص ذاته، كما أنها تبحث عن النقطة التي يتجاوز فيها النص القوانين والمعايير التي وضعها لنفسه، فهي عملية تعرية للنص، ويرى التفكيكيون أنه يوجد داخل كل نص يدعي لنفسه الثبات تناقض لا يمكن حسمه بين ظاهره الثابت المتجاوز للصيرورة، وباطنه الواقع في قبضة الصيرورة، فكل نص يحتوي على أفكار متسقة بشكل ظاهري ولكنها متعارضة بشكل فعلي. وتتم عملية التفكير على مرحلتين، يقوم الكاتب بالتعمق في النص حتى يصل إلى الافتراضات الكامنة فيه وإلى المنظومات القيمية والمعرفية التي يستند

إليها، أما المرحلة الثانية فهي حين يبدأ الناقد في اكتشاف عنصر ممالئ في النص (تفصيلات هامشية، مصطلحات غير هامة متكررة، إشارات عابرة) فيأخذ الناقد التفكير، ويظل يعمق فيها ويحملها بالمعاني حتى يبين احتواء الكل الثابت المتجاوز على تفاصيل تقويض من كليته وثباته وتجاوزه، وحتى يبين مدى اشتراك الثنائيات في السمات رغم اختلافها، فهما ليسا متعارضين بما فيه الكفاية وبذلك يتداخل قطبا الثنائية وتختلط حدودهما (أحمد عبد الحليم، 2010) فالتفكيرية هي تلك القراءة التي تؤمن بالغياب الكلي للانسجام، والتفكيرية هي في الجوهر تقويض للنص، وهدم له، وتشتيت لدلالاته، وتفجير له، وإدخاله في صراع اختلافي مع ذاته. التفكير إذاً هو إثارة التعارض، ومساءلة الذات والموضوع، وتعرية التفاوت الاجتماعي، وانتقاد التراتب السياسي والطبقي، واستخلاص التناقضات والاختلافات التي تؤثر عليها قشور السطح، وهي كذلك لا تقتصر على التشریح والشرح والتأويل فقط، بل تعمل جاهدة لرد الاعتبار للهامش والمهندس والمخفي والمقصي، علاوة على ذلك فالتفكيرية هي رفض للهوية والأصول والكينونة، ونفي لهيمنة الأنا على الغير، ومن ثم فالتفكيرية بصفة عامة هي ضد الأنطولوجيا والميتافيزيقا والمثالية وفلسفات الهوية. وبناء على ما سبق، تهتم التفكيرية على مستوى التأويل بإبراز التضاد، والتشديد على التعارض والتناقض والاختلاف، وإذا كانت البنيوية تعترف بوجود بنيات ومقولات مركزية، فإن التفكيرية ترفض التمرکز، والمعنى الأحادي، والبنيات الثابتة، مادام هناك الاختلاف والتلاشي والتفكير والتأجيل، ويعني هذا أن التفكيرية تقر بغياب البنية والمركز واللوغوس؛ ومن ثم، ترفض التفكيرية التعارضات الثنائية البنيوية كلها ( الدال والمدلول/ الروح والجسد/ الثقافة والطبيعة...)، لتؤمن بفكر التعدد والتهجين البوليفوني، وتمثل شرعية الاختلاف والتنوع (حمداوي، 2015).

#### مصطلح التفكير والعلاج النفسي

أصبح النسق المفاهيمي للتفكير في نظرية وممارسة العلاج النفسي شائعاً بشكل متزايد بين المعالجين الذين يعملون مع "المشكلات" التي تُفهم على أنها هياكل سردية بدلاً من اعتبارها خصائص الشخصيات

المرضية، وكجزء لا يتجزأ من الممارسات الاستطراذية بدلاً من التدفق من العجز التنموي، كما أنه مؤثر بين عدد متزايد من المرشدين والمساعدين الذين يعملون في خدمات دعم الصحة العقلية بشكل عام والذين يرغبون في العمل مع العملاء بطرق من شأنها تسهيل تحديات الاضطهاد وعمليات التحرر (Parker, 2014).

ممارسة التفكير في العلاج والارشاد النفسي هي ظاهرة حديثة نسبياً، ومعها جاءت الخلافات، فالدعوة إلى ممارسة التفكير تعني قبول وجهة النظر القائلة بأنه لا يمكن اعتبار أي رواية تم إنشاؤها من الناحية اللغوية تجربة صحيحة إلا من خلال اللجوء إلى معايير الروايات الصحيحة التي يتم العمل بها في مجتمعات معينة من المتحدثين.

والعلوم النفسية هي واحدة من تلك المجتمعات التي تستخدم فيها اللغة في التفسيرات والأوصاف المختلفة بأشكال "صحيحة" مختلفة، اعتماداً على التوجهات النظرية أو سياقات الممارسة، ولكن قد يتم وصف الظواهر التي وصفها علماء النفس بشكل مختلف في المجتمعات الخطابية الأخرى مثل الطب الحيوي أو الروحانية، هذا قبل أن نناقش الاختلافات في اللغات الثقافية والوطنية حيث توجد أيضاً اختلافات، ليبقى السؤال الذي طرحه نقاد التفكير هو كيفية تحديد الأوصاف النهائية؟

بالنسبة للبعض، ما قد يبدو سؤالاً دلاليًا له معنى جديد تمامًا مع مراعاة مخاوف فوكو، على وجه التحديد بالنسبة لفوكو Foucault تحدد اللغة كما يتم استخدامها ثقافيًا علاقات القوى (وتحافظ عليها) ، وخاصة فيما يتعلق بما يهيمن على التمثيلات اللغوية، ووراء الأوصاف المختلفة تصطف التجمعات الثقافية المختلفة للفهم والعمل والعلاقة الإنسانية التي توجه الناس في مشاريعهم العلائقية (Strong & Schultz, 2010).

لقد صاغ الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا مصطلح "تفكير" للدلالة على التناقضات المتأصلة والمسارات اللامنتهية من المعنى التي يمكن اكتشافها في أي كلمة أو عبارة، فالسعي لالتقاط تعريف ثابت هو ممارسة في عبث (Marsten & Markham, 2017).

ويقترح افتراض Foucault و White و Epston أنه نظراً لأن العديد من الروايات التي نقبلها يتم تحديدها اجتماعياً، قد يتعلق العلاج في كثير من الأحيان بمقاومة هذا النوع من الروايات القمعية اجتماعياً التي تسلب الحرية الفردية والتعبير عن الذات، كما يتحدثون عن تشجيع العملاء على الوصول إلى "اخضاع المعرفة" subjugated knowledges والتي تعني في مصطلحات فوكو تلك الأفكار التي تم إحالتها لأنها لا تتفق مع "المعايير" المقبولة اجتماعياً أو التي يتم اعتبارها منحرفة بشكل ضار.

وفي وصف آخر لطريقته العلاجية يتبنى White (1995) طريقة بعد حدثية أخرى وهي طريقة التفكيك، ويقول إنه يفكك السرد في العلاج: تفكيك السرد الذاتي والمعرفة الثقافية السائدة التي يعيشها الأشخاص، وتفكيك ممارسات الذات والعلاقة الثقافية المهيمنة، وتفكيك الممارسات الاستطراذية لثقافتنا، كما يعتمد أيضا Parry (1991) -وهو مؤيد آخر للعلاج الأسري السردي- التفكيك كعنصر حاسم في العلاج بعد الحدثي.

وهنا يعمل المعالج من خلال مساعدة العميل على تغيير عناصر قصة حياته، إذ في رواية القصة هناك إدراك ضئيل لحقيقة أن الرواية ليست سوى مجموعة مختارة من أحداث معينة من عدد غير محدود تقريباً، وبالتالي فإن دور المعالج هو تسليط الضوء على التفسيرات المختلفة للقصة ومساعدة العميل على بناء القصة التي هي قصته، فالعلاج السردي يسعى إلى إبراز قصص بديلة تحوز اهتمام الشخص، وتفسيرات غير متوقعة للقصص السائدة التي تعبر عن تجربة الشخص الخاصة في أحداث معينة من أجل تحدي النص الذي تم استلامه أو قصة الحياة في دوره المختل، هذه النظرة إلى السرد والمعنى والمعرفة الثقافية المهيمنة تفترض مسبقاً نظرة بنائية اجتماعية social constructionist.

كتب ماكلويد (1997): تضع النظرة الاجتماعية للبناء إحساساً للشخص باعتباره صانعاً للقصص ويستهلك القصة في قلب إطاره المفاهيمي، فيما يعتقد البعض (على سبيل المثال باري، 1991) أن التطور السردي في العلاج الأسري يمثل واحدة من "الإزهار" لما بعد

الحدثة، ويرى أن العلاج الأسري هو التعبير العلاجي الطبيعي لما بعد الحدثة تماماً كما كان التحليل النفسي يتعلق بالحدثة. وقد كان ميشيل فوكو -أحد معاصري دريدا- يمتلك ميلاً مماثلاً للطعن في القراءات النهائية خاصة فيما يتعلق بالنشاط البشري، وحذر من أن ما وصلنا إلى قبوله كحقيقة هو شيء مستقر، وبمجرد أن يفترض شيء ما شكل المعرفة المقبولة فإنه يعمل كنوع من "تطبيع القوة" وتنظيم سلوكنا وتقييد خيالنا.

اعتمد مايكل وايت وديفيد إيبستون Michael White and David Epston على أعمال دريدا وفوكو لتطوير تفكيرهم وممارستهم من خلال التركيز على تفكير الخطاب - أي النماذج الثقافية المهيمنة المزعجة للاستقرار والتي وصلت إلى قبول واسع كحقيقة غير متجانسة، على سبيل المثال أساليب التعبير التي نعتمد عليها لنقل المعاناة، فإننا نذهب إلى المعجم الثقافي والمظاهر في التكوين الحالي لإيجاد المفاهيم الأكثر وضوحاً، نتيجةً لذلك نحن قلقون بشأن شخصياتنا التابعة وحدودنا الفقيرة وقلة احترامنا لذاتنا، نحن نهاجم أنفسنا بسبب موقفنا السلبي وميلنا إلى الحديث عن الماضي والطريقة التي نزيد بها من حدة الصعوبات التي نواجهها من خلال الانجراف دون داع إلى مستقبل مزعج، نحن مصممون على التعامل مع الحياة بشكل أكثر إيجابية ومضاعفة جهودنا للعيش في الوقت الحاضر.

في الثقافة الغربية النيوليبرالية neoliberal التي تعزز التقدم الفردي من خلال المنافسة، ليس من المستغرب أن نواجه أنفسنا كمواضيع منفصلة يتم حثها على تنفيذ مشروع تحسين ذاتي تلو الآخر، كما كان لدمج الشركات في الدولة آثار مدوية حتمية على المواطنين مع خصخصة المؤسسات العامة (التعليم، البنية التحتية، الرعاية الصحية، إلخ) وتفكير النسيج الاجتماعي، أصبحنا متشابكين في خطاب الفرص الشخصية واللوم الشخصي، وأن ما ننجزه أو نفشل فيه يعتبر نتيجة للجهود الفردية. ويؤكد منتقدو الليبرالية الجديدة على الكيفية التي يهدف بها هذا التركيز إلى زيادة كفاءة العمال إلى أقصى حد بما يخدم مصالح الأعمال التجارية في نهاية المطاف ولكن لا يساهم في النهوض بالرفاهية المدنية (Marsten & Markham, 2017).

يستخدم المعالجون السرديون مفهوم التفكير عندما يذكرون العملاء أن هيمنة معنى واحد أو مجموعة من الافتراضات هي وهم وأنه من الممكن تطبيق العديد من المعاني أو الافتراضات في فهم الحدث أو التجربة نفسها، وهكذا فإن المعالجين السرديين يساعدون العملاء على إعادة النظر فيما يسمى بالحقائق عن أنفسهم - التي يفرضها الآخرون أو عن طريق الثقافة ويتم استيعابها على النحو الوارد وغير القابل للتغيير - وبناء روايات جديدة.

إن تفكير قوة السرد المهيمن المشبع بالمشاكل يمكن أن يُمكن العملاء من التعامل بشكل أكثر كفاءة مع وجهات نظر جديدة للواقع وأن يعيشوا حياة أكثر إرضاءً، ويجب أن يكون المعالجون السرديون حساسين للغاية في العمل مع الأشخاص الذين قد يجدون أن التصريح بالنصوص سبب مهم للقلق.

التفكير هو مفهوم قوي في العلاج السردي لأن العملاء غالبًا ما يخلطون بين اللغة التي يستخدمونها عن أنفسهم وبين شيء يعتبرونه حقيقيًا وغير قابل للتغيير، ويشير التفكير إلى أن حقيقة الفرد واللغة التي يستخدمها المرء في التعامل مع هذا الواقع (حقيقة ذاته) لا يتوافقان مع بعضهما البعض، هناك دائمًا ما يريد "أن يكون" وما "يقول" (Goldenberg et al., 2017).

مشكلة التفكير: الاستماع التفكيكي والأسئلة

يستخدم أخصائيو السرد بالاعتماد على العمل الفلسفي لجاك دريدا الاستماع التفكيكي والأسئلة لمساعدة العملاء على تتبع آثار الخطاب السائد وتمكين العملاء من اتخاذ خيارات أكثر وعيًا بشأن الخطابات التي يسمحون لها بالتأثير على حياتهم.

عند الاستماع التفكيكي، يستمع المعالج إلى "الثغرات" في فهم العملاء ويطلب منهم ملء التفاصيل أو مطالبتهم بتوضيح أوجه الغموض في قصصهم، على سبيل المثال، إذا ادعى العميل أنه مرفوض لأن أصدقائه لم يتصلوا به، فإن المعالج يستمع إلى المعاني التي أدت إلى الشعور "بالرفض".

وتساعد الأسئلة التفكيكية العملاء على "فك" قصصهم لمعرفة كيفية بنائها، وتحديد تأثير الخطابات السائدة والمحلية، وتستخدم هذه الأسئلة

عموماً في المحادثات وتستهدف المعتقدات والممارسات والمشاعر والمواقف الإشكالية عن طريق مطالبة العملاء بتحديد ما يلي:

- التاريخ: قصة علاقتهم بالمعتقد أو الممارسة أو الشعور أو الموقف الإشكالي: "متى وأين واجهت المشكلة لأول مرة؟"
- السياق: التأثيرات السياقية على معتقد أو ممارسة أو شعور أو موقف إشكالي: "متى تكون أكثر عرضة لحضور الموقف الإشكالي؟"
- التأثيرات: آثار أو نتائج الاعتقاد أو الممارسة أو الشعور أو الموقف الإشكالي: "ما هي الآثار التي أثرت عليك وعلى علاقتك؟"
- العلاقات المتبادلة: العلاقة المتبادلة مع المعتقدات أو الممارسات أو المشاعر أو المواقف الأخرى: "هل هناك مشاكل أخرى تغذي هذه المشكلة؟"

- الاستراتيجيات: التكتيكات والاستراتيجيات المستخدمة من قبل مشكلة الاعتقاد، والممارسة، والشعور، أو الموقف: "كيف يحدث التأثير عليك؟" (Gehart, 2013).

النقد الأخلاقي للتفكير في العلاج السردى

تم تطبيق العلاج السردى في البداية لمساعدة الأطفال الذين يعانون من مشاكل سلوكية وأسرهم، وقد كان من الضروري تفكير الصور النمطية لمساعدة هؤلاء الأطفال، ومع ذلك ماذا لو كانت القصة المفضلة للعميل مثيرة للجدل اجتماعياً؟

كتب (Fok (2011، وهو أستاذ في الإرشاد النفسي في جامعة هونغ كونغ دحضاً قوياً لحالة علاج سردية من هذا القبيل، في هذه الحالة ساعد المعالج العميل على إعادة كتابة قصته عن قضايا خارج إطار الزواج والطلاق باعتبارها مغامرة جديدة.

جادل فوك بأن المعالج السردى يمكن أن يتعرض لخطر جعل الفعل غير الأخلاقي يبدو مقبولاً من الناحية الأخلاقية، ومع ذلك إذا قام وايت بمراجعة هذه الحالة فقد يؤكد أن مهمة المعالج تكمن في فتح إمكانيات جديدة للعملاء بدلاً من أن يكونوا ساخطين عليهم؛ فلا يحتاج المعالج إلى الاتفاق مع القصة المفضلة لشخص ما.

أوضح وايت أنه يمكننا الرد على مطالب العميل هذه بطرق محترمة، بطرق تساهم في إمكانيات الناس لوصفهم بشكل أكثر ثراءً، يمكننا بعد

ذلك استشارة هؤلاء الأشخاص المعنيين حول ما يرون أنه عواقب على حياتهم وعلاقاتهم لأداء هذه المطالب، ونشجعهم على تقييم هذه العواقب، بمعنى آخر حتى لو كانت القصص المفضلة للعملاء مثيرة للجدل، يجب على المعالجين السريين تمكين العملاء من الوصول إلى وصف ثري للقصة، ثم يمكن للعملاء اتخاذ خيارهم الخاص وتحمل المسؤولية المترتبة على ذلك.

يبدو في هذه المرحلة أن وايت (2011) عهد بممارسته إلى تفاوله بشأن قوة الإنسان، في حين أن رفض فوك (2011) لهذا الجانب من العلاج السري يمكن اعتباره ساذجًا وليس مفيدًا.

بالنسبة إلى وايت، لا تكمن القضية الأخلاقية الرئيسية في العلاج السري في أنه يمكن للعملاء تطوير روايات مفضلة مثيرة للجدل اجتماعيًا، بل في استخدام المرشدين سلطتهم لمعالجة روايات العميل، ويعتقد وايت أن للأفراد الحق الحصري والمسؤولية في كتابة قصص حياتهم، والمعالج في وضع محايد مما يتيح للأفراد اتخاذ خياراتهم الخاصة. ومع ذلك إذا كان المعالجون هم مدراء ومحرري قصة العميل، فإنهم يشاركون بنشاط في إنشاء القصة الجديدة ويكونون مسؤولين إلى حد ما عنها.

جادل (2007) Augusta-Scott بأن "الموقف المحايد أو غير المعروف يؤدي غالبًا إلى قيام المعالجين بإنكار المعرفة والقوة التي لديهم وبالتالي عدم تحمل المسؤولية عنها"، لذلك تشارك أجنحة المعالج وحكمه القيمي في المشاركة في تأليف قصة العميل بطريقة أو بأخرى، ويجب أن تكون انعكاسية المعالجين حساسة للأبعاد الأخلاقية والقيمية لموقفهم.

هناك تعليق لافت للنظر للباحث Lee (2004): "الخطاب ما وراء السري Metanarrative ليس غائبًا تمامًا عن عملية العلاج، وربما يخدم وظيفة إضفاء الشرعية على القصص".

أوضح وايت (2004) أن قصته الثنائية المهيمنة/ البديلة لا تشير إلى أن السابق هو عدواني أو مخطئ، في حين أن الأخير حقيقي أو أصيل، وسيستخدم شاهدًا من الخارج كمصدر قوي لإبراز القصة

المفضلة للعميل، وهنا يكشف وايت أنه ليس مفكراً مقنعاً، ولكنه "مُعيد بناء".

كما أن وايت لا يحرر الناس فقط من العلاقات الاجتماعية والقواعد والقيم عن طريق التفكير، بل يريد استخدام كل مورد لإعادة بناء وصف ثري يتوافق مع حياة العميل.

دافع Freedman et Combs (1996) عن تفكير White (2004) باستخدام مفاهيم العلاقات والأخلاق، وأكدوا أن الاستعانة بمصادر خارجية والتفكير يمكن أن يساعد المعالجين أن يأخذوا في الاعتبار السياقات الاجتماعية والسياسية التي تسهم في مشاكل العملاء، وبهذه الطريقة سوف يتحمل العملاء مسؤولية علاقتهم بمشكلاتهم، كما يمكن للعملاء أن يدركوا فرص العيش خارج نطاق الصعوبات السائدة.

فالعلاج السردي هو عملية بناء اجتماعي لواقع مفضل، لماذا وكيف يتم بناء قصة حياة مفضلة وأخلاقية؟، يقترح فريدمان وكومز أنه نظراً لأن هدف البناء هو مساعدة الناس على المساءلة المتبادلة والتعاون والتوافق مع المجتمع، فإنه لا يزال يتطلب مزيداً من التفكير الأخلاقي من قبل المعالجين والعملاء (Kwok, 2016).

خاتمة:

لقد تناولنا في هذه الورقة البحثية أهمية التفكير في العلاج الأسري السردي، ذلك أن تفكير قوة السرد المهيمن المشبع بالمشاكل يمكن أن يُمكن العملاء من التعامل بشكل أكثر كفاءة مع وجهات نظر جديدة للواقع وأن يعيشوا حياة أكثر إرضاءً، لكن ذلك لا يجب أن ينسي المعالجين دورهم الأخلاقي في بناء القصص البديلة رغم الدور المحايد الذي يلح عليه معالجو العلاج السردي إلا أن الخطاب ما وراء السرد لا يمكن إلا أن يكون حاضراً.

#### قائمة المراجع:

- أحمد عبد الحليم، عطية. (2010). جاك دريدا والتفكير. بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع.
- حمداوي، جميل. (2015). التفكيرية في قصص الاتهام. المغرب: حقوق الطبع للمؤلف.

- شرفي، عبد الكريم.(2010). خطيئة الغدامي من يكفر عنها؟ أو المسافة البعيدة بين "تسريحية" الغدامي و"تفكيكية" ديريدا. مجلة الخطاب، عدد7، 1112-7082.

- التاور، عمر. (2014). استراتيجيات التفكير عند جاك ديريدا الهدم و البناء. مجلة تبين للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية . 92(1507)، 1-28.

- الحبيب، أديب علوان كاظم.(2010). تمثلات فعل التفكير في الخطاب النفسي. مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 13، عدد 4، ص ص 285-300.

-حنان، ح. (2018). التفكير نحو التأسيس للمختلف. مجلة العلوم الاجتماعية، 15(27)، 108-116.

- Donoho, R. (2005). Family Therapy in Focus, by Mark Rivett and Eddy Street. *FAMILY JOURNAL-ALEXANDRIA VA-*, 13(2), 238-238.
- Gehart, D. R. (2013). *Mastering competencies in family therapy: A practical approach to theory and clinical case documentation*. Cengage Learning.
- Goldenberg, H., Stanton, M., & Goldenberg, I. (2017). *Family therapy: An overview*: Cengage learning.
- Kwok, W. L. (2016). Narrative therapy, theology, and relational openness: Reconstructing the connection between postmodern therapy and traditional theology. *Journal of Psychology and Theology*, 44(3), 201-212.
- Lacan, J., & Wilden, A. T. (1968). *The language of the self: The function of language in psychoanalysis*: Johns Hopkins University Press.
- Larnier, G. (2011). Deconstructing theory: Towards an ethical therapy. *Theory & Psychology*, 21(6), 821-839 .
- Marsten, D & ,Markham, L. (2017). Deconstruction in Narrative Couple and Family Therapy. In J. Lebow, A. Chambers, & D. C. Breunlin (Eds.), *Encyclopedia of Couple and Family Therapy* (pp. 1-7). Cham: Springer International Publishing.
- Parker, I. (2014). Deconstruction and psychotherapy *Psychology After Deconstruction* (pp. 68-79): Routledge.

- Polanco, M. (2017). Deconstructive Listening in Couple and Family Therapy. In J. Lebow, A. Chambers, & D. C. Breunlin (Eds.), *Encyclopedia of Couple and Family Therapy* (pp. 1-5). (Cham: Springer International Publishing.
- Spence, D. P. (1984). *Narrative truth and historical truth: Meaning and interpretation in psychoanalysis*: WW Norton & Company.
- Strong, T., & Schultz, L. (2010). Asking and answering deconstruction questions from within counselling dialogues. *Studies in meaning*, 4, 123-150 .
- White, M., White, M. K., Wijaya, M., & Epston, D. (1990). *Narrative means to therapeutic ends*: WW Norton & Company.
- حنان, ح. (2018). التفكير نحو التأسيس للمختلف. مجلة العلوم الاجتماعية, 15(27), 108-116.

للإحالة على هذا المقال:

- عايش صباح, (2022), « التفكير في العلاج الأسري السردي ». المواقف, المجلد: 18, العدد: 01, أوت 2022, صص 1100-1115.